أحمد عبد الغفور عطار

الإسلام خاتم الأديان

بيروت ١٣٨٦ هـ

الطبعة الأولى
بيروت : ربيع الأول ١٣٨٦ هـ
حزيران (يونيو) ١٩٦٦ م

اهداء وتحية

هذه محاضرة أُعِدَّت تلبية لدعوة تلقيتهـــا من إدارة التعليم بمكة المكرمة حرسها الله ، وبعد ان أعددتها رأيتها طويلة تمل السامع وتجهد المحاضر ، فاختصرتها إلى الثلث، وألقيت ما اختصرت في ليلة الثلاثاء ١٨ شوال ١٣٨٥ هـ (٢٥ فبراير (كانون الثـاني) ١٩٦٦) بمبنى المدرسة النموذجية بمكة .

وعلق عليهـــا — بين من علقوا — الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ أحمد محمد جمال ،واقترح نشر هذه المحاضرة على نطاق واسع ، وترجمتها إلى بعض اللغات ليطلع عليها أكبر عدد من المسلمين وغير المسلمين ، وشاركه اقتراحه معالي الأمين العام للرابطة الإسلامية بمكـــة الرجل الفاضل الجليل الشيخ محمد سرور الصبان وعديد من الأصدقاء الكرام .

وهأنذا أنشرها رجاء ان تجد ما قدروا لها من النفع .

ويسعدني ان أهديها إلى الشيخ محمد سرور الصبان وإلى الأستاذ أحمد محمد جمال وإلى أولئك الأصدقاء ، وأشرك معهم في الإهداء رجلين كريمين هما : العالم الفاضل الشاب الصالح أحد حماة الإسلام الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير المعارف ، والابن مصطفى عطار مدير التعليم بمكة، فقد كان لهما الفضل بعد الله في كتابة هذه المحاضرة .

وأما اقتراح الترجمة فجليل ، وأرجو ان يتم على يد الرابطة الإسلامية أو وزارة المعارف ، والله الموفق .

١ / ٣ / ١٣٨٦ هـ	**أحمد عبد الغفور عطار**
١٩ / ٦ / ١٩٦٦ م	مكة المكرمة

لا نبي بعد محمد

أصحيح ان الاسلام خاتم الأديان ، ورسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء والمرسلين ؟ .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر انه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وواقع التاريخ اثبت صدق ما اخبر به وأيده، فلم يظهر نبي بعده ، ولم يخرج رسول جاء برسالة خاصة او عامة بعد رسالته .

فنبوءة محمد صادقة ، وكلامه حق ، لأنه الـوحي الصادق الذي أيده الواقع .

واذا كان محمد عليه صلوات الله وسلامه خاتم الانبياء والمرسلين حقاً ؛ أفدين الاسلام خاتم الاديان ؟ .

نقول : نعم . والحق معنا ، والواقع يؤيدنا .

محمد خاتم الرسل حقاً بلا نزاع ، فما عرف التاريخ .

انبياء ورسلاً الا بعض المدعين كذبتهم اقوالهم واعمالهم، وشهدت على كذبهم ألسنتهم ، ومضوا بين سخريات التاريخ لتبتلعهم مهاويه الفاغرة ، وكانوا جميعاً – وهم نفر معدود – بين طامع في المجد والسلطان ، وأحمق يتظرف .

ولم يثبت على محمد كذب قط لا قبل النبوة ولا بعدها، ولو كان باب النبوة والرسالة مفتوحاً بعده لأخبر به ، لانه لن يكذب على المستقبل المغيب المجهول ، ولو كذب لاظهرت احداث المستقبل كذبه ، ولا مصلحة له في هذا الكذب .

وآية صدقه عدم ظهور نبي او رسول حتى اليوم ، مع ان مصلحين قاموا في هذا الوجود عملوا من الخير اكثر مما عمله بعض الانبياء ، وتركوا آثاراً جليلة اعظم من بعض الرسل ، ولو ادعوا النبوة او الرسالة لوجدوا مصدقين ؛ ولكن هؤلاء المصلحين كانوا صادقين فلم يدعوا النبوة .

وهذا تصديق لما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم وتأييد لنبوءته الصادقة المقطوع بصدقها وصحتها .

وامانة محمد التي هي آية الامانات كلها تظهر في كل اقواله وفي كل اعماله ، ولا يصح بأمين هو أصدق الامناء طراً وأمثلهم ان يقول غير الحق ، فينفي وجود انبياء ورسل بعده وهم سيخرجون ويكذبونه ، ولكن عدم

ظهورهم آية صدقه وبرهان امانته .

وإن من يذكر من سبقوه من الانبياء والمرسلين ذكراً جميلاً وينفي عنهم التهم التي ألصقها بهم اتباعهم ، ويصفهم بما هم له اهل من صفات الفضل والتنزيه والعصمة ، ويعطيهم حقهم من التجلة والتبجيل لا يتصور العقل والمنطق ان يكذب فيزعم ألا نبي بعده اذا لم يكن واثقاً من قوله وصادقاً فيه .

ولو كان غير صادق وغير رسول حق لأيّد اتباع الرسل السابقين فيما قذفوهم به من التهم الباطلة الكاذبة رجاء تأييدهم إياه .

ألا تتهم كتب اليهود والنصارى المقدسة انبياءهم ورسلهم الذين يؤمنون بأنهم رسل الله حقاً بشّر التهم والقذائف ؟.

ألا تتهم إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه بأنه كان يصحب زوجه الجميلة الفاتنة الى ملوك عصره ، يعرضها عليهم ، ويأخذ منهم تلقاء عرضها هباتهم السخية ، ويرضى بأن يأخذوها منه ليتخذوها حليلة لا خليلة مع انها في عصمته ؟ .

هذا ما تقوله توراتهم في سفر التكوين اول اسفارها الخمسة التي تسمى التوراة ، وها هوذا الاصحاح الثاني عشر يقول ما نصه :

« وحدث جوع في الارض ، فانحدر ابرام الى مصر ليتغرّب هناك ، لان الجوع في الارض كان شديداً ،

وحدث لما قرب ان يدخل مصر انه قال لساراي امرأته : إني قد علمت انك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رآك المصريون انهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلونني ويستبقونك ، قولي : إنك أختي ، ليكون لي خير بسببك ، وتحيا نفسي من اجلك » .

«فحدث لما دخل أبرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسناء جداً ، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعــون ، فصنع إلى أبرام خيراً بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتُـن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيتـه ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام ، فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذي صنعت بـي ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت : هي أختي حتى أخذتُها لي لتكون زوجتي . والآن هو ذا امرأتك ، خذهـا واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له » .

وتصور التوراة إبراهيم عليه صلاة الله وسلامه صورة كريهة ، إذ تصوره مستمرئاً تجربته مع فرعون فيمضي إلى « أبيمالك » ملك جرار ومعه سارة ليصنع بهما مـا صنع فرعون معهما ، وهـاهوذا « سفر التكوين » يقـول في الاصحاح العشرين ما نصه :

« وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادَش وشورَ وتغرب في جرارَ ، وقال إبراهيم عن

سارة امرأته: هي أختي ؟ فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة ، فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التي اخذتها فإنها متزوجة ببعل، ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها ، فقال : يا سيد، أأمة بارة تقتل ؟ الم يقل هو لي : إنهـا اختي ، وهي ايضاً نفسها قالت : هو اخي ؟ بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا ، فقال له الله في الحلم : انا ايضاً علمت انك بسلامة قلبك فعلت هـذا ، وانا ايضاً امسكتك عن ان تخطىء إلي ، لذلك لم أدعك تمسها ، فـالآن رُدَّ امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا ، وإن كنت لست تردها فاعلم انك موتا تموت انت وكل من لك » .

« فبكر ابيمالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجال جداً ، ثم دعا أبيمالك إبراهيم وقال له : ماذا فعلت بنا ؟ وبماذا اخطأت إليك حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطية عظيمة ؟ اعمالاً لا تعمل عملت بي ! وقال ابيمالك لابراهيم : ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء ؟ فقال إبراهيم : إني قلت: ليس في هذا الموضع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل امرأتي ، وبالحقيقة ايضاً هي اختي ابنة ابي ، غير أنها ليست ابنة امي ، فصارت لي زوجة ، وحدث لما اتاهني الله من بيت ابي قلت لها : هذا معروفك الذي تصنعين إليّ ، في كل مكان نأتي إليه قولي عني : هو اخي » .

« فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء واعطاها لابراهيم، ورد إليه امرأته ، وقال ابيمالك : هوذا ارضي قدامك ، اسكن فيما حسن في عينيك ، وقال لسارة : إني قد اعطيت اخاك ألفاً من الفضة ، ها هو لك غطاء عين من جهة كل من عندك وعند كل واحد فأنْصِفَت » .

وهذه الصورة التي يؤمن بها اليهود والنصارى على انها صورة إبراهيم وخلائقه وصفاته لا ترضي شريعة الاخلاق ، وما ذنب فرعون إذا اخذ من ابراهيم اخته السليمة من موانع الزواج ليتخذها زوجاً له على السنة المتبعة حينئذ ؟.

ولماذ يصحبها معه وهي «امرأة حسنة المنظر» كما يقول هو نفسه في وصفها الى اناس غير امناء ، الى اناس فتلك بهم الجوع الجنسي ؟.

لماذا لا يتغرب وحده طلباً للرزق كما يصنع الشرفاء إذا قصدوا بلداً غير مأمون فيه على أعراض النساء المتزوجات ؟.

ولماذا يعيد التجربة مع « أبيمالك » عاهل جرار ويخدعه حتى يكاد أن يوقعه في دمار وعذاب أليمين ؟ أليس في عتاب أبيمالك ولومه إياه دليلاً على أنه « بسلامة قلب ونقاء يد » تسلم المرأة ليتخذها زوجاً له ؟.

أبلغ الطمع بإبراهيم صلاة الله وسلامه عليه إلى عرض امرأته تلقاء غنم وبقر وجمال وأموال، ويدع امرأته الجميلة لعبة في يدي فرعون ثم أبيمالك ؟ ألا يجوز ان يسطو على

عرضها وهي عاجزة ما دام هو نفسه قد عجز عن حمايتها وحماية نفسه ؟.

لقد كاد فرعون وأبيمالك ان يفترشاها لولا ان الرب ضرب فرعون وكف يد أبيمالك عن سارة [1] .

ولوط عايه السلام لم يسلم من قذيفة ماحقة تمحقه هو واسرته ، فلا تكتفي بنكبة الرجل في شعبه وامرأته حتى تنكبه في ابنتيه وفي نفسه اذ تذكر عنه انه زنـا بابنتيه عندما سقتاه خمراً حتى فقد عقله ووطئهما .

يقول سفر التكوين في الاصحاح التاسع عشر ما نصه:

« وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لانه خاف ان يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة : ابونا قد شاخ ، وليس في الارض رجل ليدخل علينا كعادة كل الارض ، هلم نسقي ابانا خمراً ونضطجع معه ، فنحيي من ابينا نسلاً ، فسقتا اباهما خمراً في تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحـدث في الغد ان البكر قالت للصغيرة : اني قد اضطجعت البارحة مـع ابـي ، نسقيه خمراً الليلة ايضاً فادخلي اضطجعـي معه ، فنحيي من ابينا نسلاً ، فسقتا اباهما خمـراً في تلك الليلة ايضاً ، وقـامت الصغـيرة واضطجعت معه ، ولم يعلـم

---

١ – في كتابنا المخطوط (اليهودية) رد على هذه الافتراءات الباطلة .

باضطجاعها ولا بقيامها ، فحملت ابنتا لوط من ابيهما ، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب ، وهو أبو الموآبيين الى اليوم ، والصغيرة ايضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بَنْ عَمّي ، وهو ابو بني عمون الى اليوم » .

وداود عليه السلام يزني بامرأة مؤمن حق ومجاهد عظيم ، يترك زوجه بمنزله على مقربة من منزل الملك داود، فيراها من سطح داره وهي تغتسل فتعجبه فيحضرها إلى منزله ويزني بها ، ثم لا يكتفي بهذا الإثم المبين ، فيضيف اليه آثاماً جديدة غاية في القذارة .

وها هو ذا سفر صموئيل الثاني أحد الاسفار المقدسة يقول في الإصحاح الحادي عشر ما نصه :

« وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من علا السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بَتْشَبَعْ بنت أليعام امرأة أوريا الحثي ؟فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت اليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إني حبلى . فأرسل داود إلى يوآب يقول : أرسل إلي أوريا الحثي ، فأرسل يوآب أوريا إلى داود ، فأتى أوريا اليه ، فسأل داود عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ، ونجاح الحرب ، وقال داود لأوريا : انزل إلى

بيتك واغسل رجليك ، فخرج أوريـــا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ، ونـــام أوريا على بـــاب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل إلى بيته ، فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته . فقال داود لأوريا : أمـــا جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : إن التـــابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام ، وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون عـلى وجـــه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي ، وحياتك وحيـــاة نفسك لا أفعل هذا الأمر ، فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضاً ، وغداً أطلقك ، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغده ، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده،وإلى بيته لم ينزل ، وفي الصباح كتب داود مكتوبـــاً إلى يوآب ، وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ، وكان في محاصرة يوآب المدينة انه جعل أوريا في الموضع الـذي علم ان رجال البأس فيه ، فخرج رجـال المدينة وحاربوا يوآب ، وسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً ، فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب وأوصى الرسول قائلاً : عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب ، فإن اشتعل غضب الملك وقال

لك : لماذا دنوتم من المدينة للقتال ؟ أما علمتم انهم يرمون من علا السور ، من قتل أبيمالك بن يَرُبُّوشث ؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من علا السور فمات في تاباص؟ لماذا دنوتم من السور ؟ فقل : قد مات عبدك أوريا الحثي أيضاً .

« فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب وقال الرسول لداود : قد تجبر علينا القوم ، وخرجوا الينا إلى الحقل ، فكنا عليهم إلى مدخل الباب ، فرمى الرماة عبيدك من علا السور فمات البعض من عبيد الملك ، ومات عبدك أوريا الحثي أيضاً ، فقال داود للرسول : هكذا تقول ليوآب ، لا يسؤ في عينيك هذا الأمر ، لأن السيف يأكل هذا وذاك ، شدد قتالك على المدينة وأخربها وشدده .

« فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته ، وصارت له امرأة وولدت له ابنا . وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عين الرب » .

ثم تأتي بقية قصة داود مع امرأة أوريا وسخط الله عليه بأن يعاقبه عقاباً قذراً بشعاً مقيتاً ، ويرسل الله اليه ناثان ليبلغه رسالة ربه .

وها نحن اولاء ننقل من الإصحاح الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني تكملة القصة ما نصه :

« فقال ناثان لداود : انت هو الرجل ، هكذا قال الرب إلـه إسرائيل : أنا مسحتك ملكـاً على إسرائيل ، وانقذتك من يـد شاول ، وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك ، وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا،لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه ، قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة ، وإيـاه قتلت بسيف بني عمون ، والآن لا يفـارق السيف بيتك إلى الأبـد ، لأنك احتقرتني وأخذت امرأة أوريـا الحثي لتكون لك امرأة ، هكذا قـال الرب : هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك ، وآخـذ نساءك أمـام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هـذه الشمس ، لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هـذا الأمر قـدام جميع إسرائيل وقدام الشمس ، فقـال داود لناثان : قد أخطات إلى الرب ، فقال ناثان لداود : الرب أيضـاً قد نقل عنك خطيئتك ، لا تموت ، غير انه من أجل انك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالابن المولود لك يموت ، وذهب ناثان إلى بيته .

« وضرب الرب الولد الذي ولدته امرأة أوريا لداود فثقـل ، فسأل داود الله من أجل الصبي ، وصام داود صوماً ، ودخل وبـات مضطجعاً على الأرض ، فقـام شيوخ بيته عليه ليقيموه عن الأرض فلم يشأ ، ولم يأكل

معهم خبزاً ، وكان في اليوم السابع ان الولد مات ، فخاف عبيد داود أن يخبروه بأن الولد قد مات لأنهم قالوا: هو ذا لما كان الولد حياً كلمناه فلم يسمع لصوتنا، فكيف نقول له: قد مات الولد ، يعمل أشر . إلخ » .

أي عقاب هذا الذي يعاقب الله به داود ، إن الله أنكر على داود فعلته وزناه وما تبعها من موبقات فيجازيه بفعلته نفسه بل بأشد وأقبح ، حيث يجعل قريبه يزني بنساء داود علانية أمام الشعب ، وكان هذا القريب هو أبشالوم بن داود نفسه .

وفي الإصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الثاني ، بالفقرة الثانية والعشرين هذه الكلمة :

« فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ، ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل » .

وسليمان عليه السلام موصوم .

وهذا سفر الملوك الأول يتحدث عن سليمان في الإصحاح الحادي عشر قائلاً :

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الامم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون اليهم ولا يدخلون اليكم، لانهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمئة من النساء السيدات وثلاثمئه من السراري ، فأمالت نساؤه

قلبه ، وكان في زمـــان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى ، ولم يكن قلبـه كاملاً مع الرب إلٓهه كقلب داود أبيـــه ، فذهب سليمان وراء عشتروت إلٓهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونـيين ، وعمـل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود ابيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه اورشليم ، ولمولك رجس بني عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللاتي كنّ يوقدن ويذبحـن لآلهتهن ، فغضب الرب على سليمان لان قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين، واوصاه في هذا الامر ألا يتبع آلهة اخرى ، فلم يحفظ ما اوصى به الرب ، فقال الرب لسليمان : من اجل ان ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي اوصيتك بها فإني امزق المملكة عنك تمزيقاً ، واعطيها لعبدك، الا اني لا افعل ذلك في ايامك من اجل داود ابيك ، بل من يد ابنك امزقها » .

أيستحق الرسول ان يكون رسولاً أو نبياً إذا استطاعت نسوة أن يملن قلبه وراء آلهة أخرى ؟ أيكون رسولاً من لم يتبع ربه تماماً ؟ أيكون رسولاً حقاً من يبني معبداً لصنم من الاصنام ؟ أيعترف الرسول بآلهة وثنية يعترف السفر المقدس بأنها رجس ؟

هذا ما تقوله الكتب المقدسة عن اولئك الانبيـــاء والمرسلين ، وغضب محمد عليه صلوات الله وسلامه على

القاذفين الكاذبين الذين يتطاولون على مقامهم الكريم ونزههم عما ألصقوه بهم من التهم الباطلة .

ولو لم يكن نبي صدق لما سفه رأيهم وكذب ما نصت عليــه كتبهم ، ولمشى معهم وأيدهم ، لان ذلك أدعى لتأييدهم له ، ولكنه لا يرضى بتأييد من يختلق على الرسل الاكاذيب لانه رسول صادق أمين .

ولقد اعترف برسالات من سبقوه لانهم كانوا رسلاً حقاً وانبياء صدقاً ، وأخبر بأنه خــاتمهم فلا نبي بعده لانه لا نبي بعده، وجاءت السنوات والقرون تؤيد نبوءتـه وتصدق خبره ، لانــه لم يظهر بعده نبي ولا رسول ، وهناك من الحقائق ما يؤيد انه خاتمهم،ودينه ـ كذلك ـ خاتم الاديان .

رسالة محمد للانسانية كلها

رسالات الرسل الذين سبقوا محمداً — عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه — رسالات خاصة مقصورة على شعوب وقبائل، فلا تعدو رسالة الرسول قبيلته او شعبه الذي أرسل اليه .

فنوح أول المرسلين لم يرسل إلا إلى قومه ، وكذلك إبراهيم ولوط وموسى وعيسى ، فرسالاتهم خاصة ومحلية، ولكنها رسالات كاملة من جهة العقيدة موجزة إيجازاً لأن العقول لم تكن متهيئة لإدراك ما هو اكثر من ذلك الايجاز.

أما من جهة الشريعة فكاملة أيضاً بالنسبة لعصورها ، ولا تصلح بحذافيرها لعصور أخرى وأناس آخرين ، لأن كلاً منها رسالة خاصة بزمن ومقصورة على شعب ، فإذا اقتضى تطور البشرية تكملة الشريعة بُعِث رسول جديد يضطلع بهذا الواجب العظيم .

ولم يدّع أحد منهم انه رسول الكافة ونبي الانسانية كلها ، بل دلت أقوالهم وأعمالهم على خصوص رسالاتهم، فدعوة كل رسول كانت مقصورة على أمته ، فاليهودية – واسمها يدل على خصوصها – لم تكن إلا لبني إسرائيل، وما زالت كذلك حتى اليوم .

والمسيحية نفسها كانت مقصورة على بني إسرائيل أيضاً ، فالمسيح عليه صلوات الله وسلامه كان منهم ، وجاء في الانجيل : انه جاء لخراف بني إسرائيل . ووصيته ليلة العشاء الأخيرة لبطرس ان يرعى غنمه الذين هم بنو إسرائيل .

وكان هؤلاء يتبعون الرومان في الحكم ، فلم يدع المسيح احداً منهم إلى دينه الحق ، بل تركهم وشأنهم في الدين والسياسة والحكم، وشغل نفسه ببني إسرائيل المبعوث لهم وحدهم دون غيرهم .

ولما أمسك به اليهود وقادوه إلى بيلاطس البنطي الحاكم من قبل الرومان ، ووجد منه بعض الرأفة لم يحاول ان يدعوه إلى دينه ، وما دعا قط احداً غير إسرائيلي حتى قتل على رأي المسيحيين واليهود .

ولم يرد عن المسيح انه مبعوث للكافة في كل ما يروى عنه من الأناجيل في مدة حياته ، وكل ما روي عنه هو ما رواه « إنجيل مرقس » في بضع الفقرات الأخيرة منه، وكان ذلك بعد موته وقيامه من القبر بعد دفنه ، وكذلك

صنع متى في إنجيله في آخر فقرة فيه .

وها هو ذا ما يرويه مرقس في انجيله :

« أخيرا ظهر للأحدعشر وهم متكئون ، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام، وقال لهم : إذهبوا الى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن ، وهذه الآيات تتبع المؤمنين ، يخرجون الشياطين باسمي ، ويتكلمون بألسنة جديدة ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ، ويضعون ايديهم على المرضى فيبرأون » .

وهذا ما جاء في إنجيل متى :

«وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا الى الجليل الى الجبل حيث امرهم يسوع ، ولما رأوه سجدوا له ، ولكن بعضهم شكوا ، فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما اوصيتكم به » .

ومرقس يذكر أن الحواريين الأحد عشر كانوا موبخين من المسيح لعدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، ويؤيده متى ولكنه يذكر أن بعضهم هم الذين شكوا ، وهما متفقان على أن هذا الأمر المسيحي لم يكن في حال حياته ودعوته ، بل بعد مماته ودفنه وقيامته .

وأقوال الرسول في حياته صحيحة وحق ، أما بعد مماته فلا ، ولا يصح الاعتماد في أمور الوحي على الرؤى، ثم إن إناساً يصفهم الرسول بعدم الإيمان لن يكونوا موضع الثقة .

وليس صحيحاً أن المؤمنين لا يضرهم الشيء المميت إذا شربوه ، وإذا وضعوا أيديهم على المرضى يبرأون ، ولو كان ذلك كلام المسيح لكان حقاً ، أما وأن ذلك لم يحدث ولن يحدث فهو الدليل على أن نسبته إليه غير صحيحة .

وبولس هو الذي جعل المسيحية ديانة مفتوحة للأمم ، وبذلك ناقض رسالة المسيح، ولعل ظروف بولس اضطرته إلى ذلك، فاليهود وقفوا في وجه الدعوة المسيحية وطاردوها وحاصروها حصاراً حتى انتهى بهم الأمر إلى القبض عليه وتقديمه إلى المحاكمة والحكم عليه بالموت صلباً ، وصلبه ودفنه .

وما دام اليهود كذلك فلن يقبلوا من أتباع المسيح ما رفضوه من المسيح نفسه ، وليس فيهم أحد يسمو الى مرتبة المسيح في صدق الدعوة وقوة الحجة وسمو البيان وعظم الشخصية ، فهم آيسون من دعوة اليهود ومن هدايتهم إلى الطريق القويم ، فلم يبق الا ان يخرجوا بها عن نطاق اليهود إلى غيرهم رجاء ان يجدوا النصرة والتأييد.

وبديهي ان بولس لا يستطيع ان « يكرز » بين الامم

بدين أو دعوة خاصة بقوم مكروهين ممقوتين من كل الشعوب ألا وهم اليهود ، وأدرك أن الامم لن تستجيب لدعوة يقول لهم عنها : إنها جاءت خاصة لليهود دون سواهم ، وأدرك أنهم منصرفون عن دعوة ليست لهم كل الانصراف ، فذكر لهم ان الدعوة عامة حتى يجتذبهم اليها.

وليس في المسيحية شريعة خاصة بها ، لان المسيح يهودي على ملة اليهود ، كما تذكر المصادر المنسيحية ، ولم يجيء لنقض ناموس اليهودية ، ولم يأت بشريعة جديدة ، بل كان على شريعة اليهود ، ولهذا طلبوا إليه أن يحكم في « مريم المجدلية » وفي الضريبة التي يدفعونها لقيصر حسب الناموس الذي يؤمن به .

ولو لم يكن يهودياً على ملة اليهود لما طلبوا الحكم من رجل لا يدين بدينهم ، فهم لم يطلبوه من الرومان او من غير الرومان الذين يخالفونهم في الديانة،ولكنهم طلبوه من المسيح ليحكم حتى يحرجوه بالحكم لأنهم مدركون أن الحكم يغضب الحاكم الروماني غضباً يمحق المسيح ، وهذا ما يريده اليهود .

وما جاءت المسيحية إلا لتعيد إلى اليهودية روحها المفقودة ، ومثلها العليا ، وقيمها الروحية ، ورواءها ونضرتها ، وتخفف من وطأة المادية ، وتجدد اليهودية التي درست على أحبارها وعلمائها دون ان تنقض الناموس : ناموس موسى ،او تهدم شريعته او تلغيها بشريعة يأتي بها .

واذا فرضنا ان الدعوة المسيحية عامة فأين شريعتها التي تصلح لبناء المجتمعات الإنسانية وتنظم علاقات أفرادها بعضهم ببعض ؟ وأين عقيدتها التي تصلح لأن يستظل بها كل أحد ؟.

ولو كانت للمسيحية شريعة لما أحدث المسيحيون شرائع حتى هذا اليوم لا نجد لها أصولاً في الأناجيل ولا نجد لها ذكراً فيها .

ومن جهة العقيدة نجد أقطاب الفلاسفة والمفكرين والعلماء المسيحيين ينكرون عليها التجسيد والتثليث، ويذهبون بحق الى انهما مأخوذان من ديانات وثنية سبقتها ، وما أكثر من انصرفوا عنها الى الإسلام لانهم وجدوه دين التوحيد الحق .

ونستطيع ان نقول : إن الآداب الإنسانية ودعوات الخير والتهذيب حصة الإنسانية المشتركة،فالاوامر والنواهي التي كانت منذ آلاف السنين مثل :

- إعمل الخير وأحسن إلى « الغير » واعف عن المسيء ، وبر والديك ، واحترم الكبير ، وارحم الصغير ، واطلب العلم ، واكرم الضيف .
- ولا تسرق ، ولا تزن ، ولا تشتم ، ولا تؤذ جارك ، ولا تقتل ،.

إنما هي آداب عامة صالحة لكل زمان ومكان .

فإذا كان في المسيحية هذه الآداب — وهي فيها —

فانها بلا شك صالحة لان يدعو اليهـا التلاميذ وغيرهم ويكرزوا بهـا بين الامم ، كما ان من حـق كل إنسان وواجبه ان يبشر بتلك الآداب ويدعو اليها .

والديانة التي تصلح عقيدة وشريعة وآدابـاً وسلوكاً وعلوماً وحكومة هي ديانة الإسلام التي جاءت بمـا يصلح لبناء أفضل المجتمعات ، وإقامة خير الحكومات ، وإنشاء الصلات والروابط عـلى اساس العقل والضمير بين جميع الأمم .

فلا خصومة بين العلم والإسلام ، ولا جفاء بينه وبين الحضارة ، لانه هو نفسه يأمر بالعلم والتبحر فيه ، ويدعو إلى الحضارة والمدنية،وينهى عن كل ما فيه أذى وضرر .

والعلم مهما بلغ لن يقضي على الإسلام ولن يخاصمه إذا عرف حقيقته ، أما المسيحية — على سبيل المثال — فقد زواها العلم زياً لانه قرر انهـا لا تصلح لبنـاء المجتمعات العصرية ولا ان تكون أساس الحـكم فيها ، ولا ان تكون أساساً للتعامل بها في التجارة والاقتصاد، والعلم الذي أصدر حكمه هو العلم المسيحي .

وفقدان الديانات السابقة صلاحها لغير عصورها وأممها برهان خصوصها ودليل على انهـا ديانات خاصة مقيدة بزمن، وليس على وجه الارض اليوم دين يحكم به لصلاحه غير دين الإسلام مما يثبت انه دين عام صالح لكل زمان ومكان ، والا لما بقي قادراً على الحكم مع مـا تعرض له

ويتعرض لقوى الهدم من شيوعية واستعمار وصهيونية .

وليس في الاحكام الإسلامية التي تعتبر من أصول الحكم الإسلامي ما هو مأخوذ عن غيره إلا في الاحكام السماوية التي جاء بها الرسل الكرام وكتبهم الصحيحة .

ونحن نرى اليوم في قوانين المسيحيين في الغرب ما هو مأخوذ من الفقه الإسلامي مما يدل على صلاحه لهذا العصر أيضاً .

وكل هذا برهان على ان الاسلام دين عام لانه يصلح للتطبيق في أي بلد يؤمن بالمثل الرفيعة والقيم الانسانية وفي أي زمن ، ونقول : « المثل الرفيعة والقيم الإنسانية » لان الإسلام لا يصلح للمجتمع الشيوعي الملحد الكفور ، ولا للمجتمع الغربي الذي افسد عليه علمُه عقيدته ، وحضارتُه أخلاقه .

إن الإسلام لا يصلح للشرق ولا للغرب لانهما لا يعترفان به ديناً يحكم ، ولان لديهما من المفاسد وأنواع الحرام التي تقوم عليها مجتمعاتهما ما يمنع الإسلام من التطبيق ، ولكنه صالح كل الصلاح إذا آمن به مجتمع وأراد الإفادة منه بتطبيقه .

ثم الإسلام لا يؤخذ أجزاء ، فلا يمكن ان نسلخ منه الفقه الإسلامي او ننزع من الفقه بعض أبوابه ليحل مشكلات الغرب والشرق الاقتصادية والتجارية والسياسية ولنطبقه في دولها ، لان الاسلام لا يسأل عن تنظيم مجتمع يكفر به ،

بل لا بد من تطبيقه كلاً مع الإيمان بصلاحه : لان تطبيق أجزاء منه ينقضه عدم تطبيق بقية الاجزاء .

إن الإسلام ليس كغيره من الاديـان تمكن تجزئته ، بل إن مجرد عدم الإيمان به يجعله غـير صالح للتطبيق ، ومجرد الإيمان بما حرمه على انه حلال ينقضه .

إن من يصلي في الاسلام يجب ان يتطهر له جسداً ، ومكاناً ، فإذا كان في ثوبه الذي هو خارج عن جسده ومجرد ستر له نقطة نجس يعلم بها لا تجوز صلاتـه مهما كانت كاملة في الوضوء وفي كل الواجبات والاركـان والسنن .

كذلك الإسلام ، يجب ان نستعد له بالايمان والتطهر ، تطهر المجتمع ظاهراً وباطناً ، وجوهراً وعرضاً ، ومكاناً وبيئة حتى يكون صالحاً للتطبيق ، وليس هـذا بعيب فيه أو مأخذ عليه ، لان فقـدان صلاح انسان آية في النبل والخلائق الفاضلة للعيش في بيئة مجرمـين ليس نقيصة ولا عيباً فيه .

ولكن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وقادر كل القدرة على إصلاح كل مجتمع إذا أوجد له معتنقوه الصادقون مجالاً لتطبيقه ، لانه الدين الوحيد بـين جميع المذاهب والشرائع والاديان الذي جاء للعموم والكافة ، للإنسانية في جميع ظروفها وأحوالها .

العالم في عصر البعثة المحمدية

في العصر الذي ظهر فيه الإسلام كانت الوثنية تسيطر على الارض ، ولم يكن بها دين صحيح كامل يُطبّق ، بل فسدت الديانات كلها وانقلبت اديان شرك ووثنية ، واضطربت الموازين الإنسانية ، وساد الباطل والظلم ، وغرقت المجتمعات الإنسانية في ظلام العقيدة وظلمات الباطل والكفر .

والديانتان اللتان بقيتا هما المسيحية واليهودية ، ولكنهما لم تكونا الديانتين الصحيحتين المنزلتين من السماء ، بل خفيت معالمهما ، وحرفت كتبهما ، وانقلبتا دينين وثنيين، وبعدتا عن التوحيد الحق بعداً كبيراً .

ولم يكن احد هذين الدينين مفتوحاً لغير شعوبهما في الأصل ، بل كانا خاصين ببني اسرائيل ، إلا ان المسيحية

انحرف بها بولس حيث جعلها لغير اليهود ، وبشّر بها بين الأمم ، وبذلك ناقض المسيح نفسه .

اما اليهودية فكانت ديناً مغلقاً وقفاً على اليهود وحدهم، ومع ان اليهود انتشروا في الارض ، وفي تاريخهم القديم نفي آلاف منهم الى بابل ، وتشتت عشرات الألـوف ومئاتها في اقطار الارض فإن اليهودية بقيت مغلقة في وجوه غير اليهود ، ولم يقوموا — قط — بدعوة الأمم الأخرى، ولم يرضوا بأفراد منها يشاركونهم دينهم وربهم .

وفكرة « الله » في اليهودية كما تصورها كتبهم فكرة وثنية لا تتفق مع كمال الله المطلق وصفاته المثلى واسمائـه الحسنى ،فيهوه رب اليهود وحدهم ، وإلههم الخاص بهم، ولا يقبلون ان يدعو « يهوه » ربهم احد من غيرهم .

واليهود يؤمنون بوجود الآلهة والارباب التي يعبدهـا سواهم ، ولا يقتضيهم هذا الإيمان ان يعبدوها ، وصارت الديانة اليهودية وغيرها من الديانـات لدى اليهودية مثل « الجنسية » فكما ان اليهود ينتمـون الى « يهـوه » ينتمي غيرهم الى عشتروت وتموز ومردوخ وآنو ورع وأوزيريس وآلاف الآلهة الأخرى .

إن اليهودية « جنسية » مثل جنسيات الدول ، فكما لا يجوز ان ينتمي متجنس بجنسية الى غيرها كذلك اليهودية.

وفي صفات « يهوه » رب اليهود مـا ينقض التنزيه الحق والكمال المطلق ، فقد تصور اليهود « يهوه » شديد

الظمإ الى الدماء ، عظيم النشوة والبهجة من رائحة الشواء، وتخيلوه رباً وثنياً على صورة إنسان يأكل ويشرب، وتختلف عليه نقائص البشر وصفاتهم من تعب وراحة واستذكار للدروس ولهو ولعب .

وفكرة البعث والنشور غير مذكورة في توراتهم ، والإشارة اليهما غامضة في سفر اشعيا ، وإن كان سفر دانيال أبين في الإشارة لأنه ذكر ان الراقدين (الموتى) يستيقظون .

والشريعة التي تذكرها كتبهم صالحة لليهود في عصرهم القديم ، ففيها ما يحتاج اليه قيام مجتمع متكامل من نظم تتناول كل اعماله واهدافه وآدابه واخلاقه ومعاملاته في السلم والحرب ، ومعاملات الافراد فيما بينهم .

ولكن أبين ما فيها من خلل محاباة الشريعة اصحابها ، ومجافاة من لم تنزل لهم، مثل إباحة الربا والسرقة والأذى لليهود في معاملة غيرهم من ابناء الامم الاخرى .

وفي كتبهم او توراتهم الموجودة او ما يطلقون عليه التوراة ما يهدم بعضه بعضاً ، ففي الانبياء والمرسلين من يزني ويعرض زوج من يزني بامرأته للقتل بل يدفعه اليه دفعاً ليتخلص منه ويضم امرأته الى نسائه مثل داود ، ومن يزني بابنتيه وهو لوط ، ومن يثبت لله انداداً من الاوثان والاصنام ، وهو سليمان ، وقد ذكرنا في الفصل السابق نقولاً من توراتهم تحوي هذه التهم القذرة

موجهة الى الانبياء ، وتلك جرائم وكفر ونقائص شائنة يتنزه عنها المرسلون .

وفي التلمود وصفوا الله بما لايليق بجلاله وقدرته ووحدانيته وعظمته وبكل صفاته ، بل ذهبوا الى خضوع الله لأحبارهم.

وتأثرت اليهودية بما جاورها من الديانات الوثنية ، فأخذت من بابل ، وتأثرت بمصر في عبادة العجل ، ونقلت عن الكنعانيين مراسيم وطقوساً ، حتى ذهب بعض العلماء الباحثين الى ان « يهوه » إله اليهود إله كنعاني أخذه العبرانيون وزادوا في صفاته ما يتفق مع حياتهم ، ومن بين الآثار الدالة على ذلك : الآثار التي وُجدت في كنعان سنة ١٩٣١ م وهي قطع من الخزف يرجع عهدها الى عصر البرنز الذي يسبق الميلاد بثلاثة آلاف سنة ، وفيها كلمة « ياه » او « ياهو » وهو اسم إله كنعاني.

ونقل اليهود قصة الخليقة عن وثنيات بابل ، وأخذوا فكرة « المخلص » المنتظر من الديانة الفارسية ومن غيرها.

وفسدت الألوهية لدى اليهودية كما فسدت فكرتهم عن الله عندما وصفوه بصفات الآدميين ، فذكروا في « سفر التكوين » من توراتهم : ان الله خلق الكون في ستة ايام، واستراح من التعب في اليوم السابع ، ونسبوا الى الله تبارك وتعالى الكذب والتضليل ، اذ يزعم سفر التكوين ان الله منع آدم عن الأكل من « شجرة معرفة الخير والشر » بحجة الخلود في حين ان الله اخفى السبب الحقيقي ، وهو

ان يكون آدم مثل الله اذا اكل من هذه الشجرة ، فتقول توراتهم : « وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر[1] » .

ولكن آدم أكل من الشجرة ولم يصر مثل الله ، وفي هذا تكذيب لله ، كما ان فيه اعترافاً من « الرب الإله» بأن له شركاء يدل عليه قوله في زعمهم : «كواحد منا» .

ويذكر ما يسمى التوراة لديهم ان الرب الإله كان ماشياً في الجنة فاختبأ آدم وامرأته ، بل تجسد هذه التوراة « الله » تجسيداً . وتذكر في قصة لوط ان الله وملكين جاءوا الى ابراهيم ، وهذه عبارة سفر التكوين (الإصحاح ١١) : « واذا ثلاثة رجال واقفون لديه إلخ » وانهم أكلوا مما قدمه لهم ابراهيم .

ويكفي ان ننقل بعض ما جاء في « التلمود » للدلالة على بشاعة الوثنية التي دخلت اليهودية فأفسدتها إفساداً .

في سفر روبين ٢١ حرف ب من التلمود الاصيل : « إحذر يا بني ، يقول الحاخام رابا : واتبع التلمود لا التوراة ، فالتوراة تتضمن احكاماً لا تستوجب مخالفتها الموت ، واما من يخالف حرفاً جاء في التلمود فالقتل عقابه ، ومن يهزأ بكلمة من كلمات التلمود يغمس في الغائط ويساق فيه حياً الى ان يموت » .

---

١ – سفر التكوين ، الإصحاح الثالث .

وفي سفر مجيلا ٢١ من التلمود : « إن الله يدرس التلمود منتصباً على قدميه » .

وفي سفر بيراشون ٧ حرف أ : « دخلت قدس الاقداس فرأيت الله جالساً على كرسي مرتفع ، فقال لي : باركني يا بني ، واذ باركته شكرني وسلم وانصرف » .

وفي سفر باباتبرا ٧٥ حرف ا : « الحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ، ويُدْعَوْن يهوه اي الله » .

وفي سفر مويدقنان ١ حرف ا : « للحاخامين السيادة على الله ، وعليه إجراء ما يرغبون فيه » .

وفي سفر بابامزيا ٨٦ حرف ا : « إذا احتدم الخلاف بين الحاخامين والله فالحق مع الحاخامين [١] » .

وهذه الأسفار كلها من التلمود ، تبرهن على عقيدة اليهود القائمة على التعدد والكفر وتحقير الله وإنزاله دون منزلة الحاخامين [٢] ، كما ان توراتهم نفسها مليئة بما ينقض التوحيد وكمال الله المطلق ، وتنسب اليه الظلم .

---

١ – النصوص المنقولة هنا من التلمود هي ما استشهد به الكاتب المسيحي نقولا الحداد في مقال له بعنوان « التلمود خدع اليهود » منشور بمجلة « الرسالة » في العدد ٧٧٠ الصادر في ٢٥/ ٥ /١٣٦٧هـ (٥ / ٤ /١٩٤٨ م).

٢ – عندما كنت ساكناً بالقاهرة زارني بمنزلي الحاخام ناحوم كبير يهود مصر وقت ترشيحي لعضوية المجمع اللغوي وأيد ما جاء في التلمود، ولكنه لم يقبل المناقشة .

وكل ذلك غاية في البشاعة الوثنية وفساد العقيدة وزوال عقيدة التوحيد من اليهودية ما يثبت ان الديانة اليهودية لم تعد ديانة توحيد كما كانت ، وكتابهم المقدس الذي فيه الهدى والنور قد حرف بحيث اختلط الاصل مع ما ادخلوه فيه مما ليس منه ، كما حرفوا هذا الاصل نفسه حتى كان التمييز بين الصحيح والزائف متعذراً .

ومع كل هذا لم تعد اليهودية ديناً صالحاً لليهود انفسهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وقبيل بعثته لما دخلها من التغيير والفساد والوثنية والباطل،ولتطور البشرية وتقدمها العقلي والادبي ، ودليل فقدانها الصلاح ان اليهود في هذا العصر تركوها الى نظم تنقض ما في اسفار التوراة من الأحكام .

والمسيحية التي هي ديانة سماوية قد اختلف عليها ما اختلف على اليهودية التي سبقتها، وهي ديانة خاصة جاءت لخراف بني اسرائيلي .

والقرون التي مرت بها حتى زمن محمد صلى الله عليه وسلم بعدت بها عن حقيقتها وجوهرها ، واصبحت قائمة على « التثليث » والتجسيد ، اللذين يقضيان على التوحيد مهما فلسفوا ، فأقطابهم من رجال الدين والفكر والادب والفلسفة ينقدون التثليث وينكرونه .

فالعقيدة المسيحية لا تصلح لأن تكون عقيدة الإنسانية كلها لانها خرجت على التوحيد وقضت عليه .

والمسيحية تؤمن بأسفار العهد القديم التي يؤمن بها اليهود، وهذا الايمان يزيد في نفي التوحيد وإثبات الشرك مضافاً اليه الاعتقاد بالتثليث ، وهذه الزيادة تزيد في عدم صلاحها لتكون دين الانسانية جمعاء .

ويجب على دين الانسانية ان يحتوي على الشريعة التي تنظم حياة بني الانسان جميعاً ، وليس في المسيحية شريعة خاصة بها ، لان المسيح نفسه عليه الصلاة والسلام يهودي على ملة اليهود كما تذكر المصادر المسيحية ، ولم يجيء لنقض اليهودية ، ولم يأتِ بشريعة جديدة تلغيها ، بل كان على شريعة اليهود ويدعو الى التمسك بها .

ولم تنجح المسيحية وانتهت سريعاً ، واختفى بعد المسيح انجيله الحق ، ونقض بولس رسالة المسيح نقضاً ، ومن جاءوا بعده هدموها هدماً ، ويعترف اكابر الباحثين المسيحيين واعاظم من رجال الدين المسيحي بما حلّ بالمسيحية من تغير شامل ، كما يعترفون بدخول الوثنيات في المسيحية.

يقول الكاتب الارلندي المشهور برناردشو: ان القس الشهير « دين إنـج » قال : لقد شوّه بولس تعاليم راعينا حتى لكأنه اعاد صلبه مقلوباً برأسه الى اسفل » .

ويقول العالم البريطاني المعروف ويلز: « أوتي بولس قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات عصره الدينية ، فكان على علم واسع باليهودية وبديانة مترا وديانة الاسكندرية ، فنقل الى المسيحية كثيراً من معتقداتهم

ومصطلحاتهم ، ولم يهتم بما جاء به عيسى من فكرة ملكوت السماوات » .

ويقول بيري Berry في كتابه Religions of the World :

« بعد صلب المسيح ذاب اتباعه واختفت دعوته ولم احد يسمع شيئاً عن هذه الدعوة » و « كان عيسى يهودياً ، وقد ظل كذلك ابداً ، ولكن بولس كون المسيحية على حساب عيسى ، فبولس في الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل بولس على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب اليها عامتهم ، كما ادخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب اتباعاً له من اليونان ، فبدأ يذيع ان عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشري بوساطته ان ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت مشهورة عند كثير من الفرق ، فانحاز اتباعها الى ديانة بولس ، وعمد — إرضاء لمثقفي اليونان — الى ان يستعيد من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف فيلون اتصال الإله بالارض عن طريق الكلمة (The Lagos) او ابن الإله » .

وهذه الشواهد تبرهن على ان ما يسمى « المسيحية » ليست مسيحية المسيح عليه الصلاة والسلام بل هي المسيحية التي لفقها بولس .

وكل ما في الديانة المسيحية من عقائد وشعائر واسرار وكل صفات المسيح وبخاصة صفات الالوهية من الديانات الوثنية .

ففكرة « الإله المتجسد » فكرة قديمة وشائعة في كثير من الديانات الوثنية ، ونظائر المسيح واشباهه موجودون فيهـا .

وعلى سبيل المثال نشير الى ذلك في ايجاز مما كتبه اقطاب الفكر المسيحي حتى لا نتهم ، وهؤلاء الاقطاب ليسوا بخصوم دينهم ، ولكن البحث العلمي دفعهم الى ذكر حقائق الديانات الوثنية التي سبقت المسيحية بما فيها من العقائد الوثنية .

في المصادر المسيحية من اناجيل وغيرها ما نصه :

« ان يسوع المسيح هو المخلص ، والفادي ،والمعزي ، والراعي الصالح ، والوسيط ، وابن الله، والاقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس » .

وفي المصادر الهندية في وصف « كرشنا » كما ذكر العلامة المسيحي دوان في كتابه «خرافات التوراة ونظائرها في الديانات الاخرى[١] » والمؤرخ موريس في كتابه «تاريخ الهند [٢] » المجلد الثاني ، والعلامة « إنمن » في كتابه « العلامات الوثنية القديمة في النصرانية الحديثة [٣] » وفي

---

١ — Doane, Bible Mythsand Their Parllels in other Religions

٢ — Mourice, History of Hindostan

٣ — Inman, Ancient Pagan and Modern Christian Symbolism

كتاب « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » لمحمد طاهر التنير ما نصه :

« ان كرشنا هو المخلص ، والفادي، والمعزي، والراعي الصالح ، والوسيط ، وابن الله ، والاقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الآب والابن وروح القدس » .

وتروي المصادر المسيحية وفي طليعتها انجيل متى (الإصحاح الثالث) : ان مجوساً من الشرق جاءوا الى اورشليم يسألون : « اين هو المولود ملك اليهود فإننا رأينا نجمه في المشرق واتينا نسجد له » و « ذهبوا اذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي ... ثم فتحوا له كنوزهم وقدموا له ذهباً ولباناً ومراً » .

وفي كتاب « الملاك المسيح » يقول « بنصون » احد اعلام الفكر المسيحي : « جاء في كتب البوذيين المقدسة ان السماوات بشرت بولادة بوذا بنجم ظهر مشرقاً في الافق ، ويدعونه نجم المسيح » .

وفي كتاب « تاريخ الصينيين » لثورنتن المسيحي : « يعتقد الصينيون ان نجماً ظهر عند ولادة « يو » من عذراء ودلهم عليه ، و « يو » هذا مؤسس الدولة الاولى التي حكمت الصين ، ويزعمون ان نجماً ظهر عند ولادة الحكم « لاوتسي » ودلهم عليه .

وفي ديانة فارس : لما ولد « مترا » المخلص

والوسيط بين الله والناس زاره مجوس وقدموا له هدايا : ذهباً وطيباً ومراً .

وعندما ولد « كرشنا » جاء الرعاة وقدموا له هدايا من خشب الصندل .

ويروي افلاطون ان ثلاثة مجوس من الشرق جاءوا الى محل ولادة سقراط المولود قبل المسيح بحوالي ٤٦٠ سنة وقدموا له هدايا : ذهباً وطيباً ومراً .

وكل هؤلاء اسبق من المسيح مولداً بقرون .

وفي المصادر المسيحية : ولدت مريم يسوع في مغارة.

وفي كتاب « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » : ان ام كرشنا وضعته في مغارة ، و « ابولـــون » الإله الاغريقى المولود من سفاح ولدته امه في مغارة ، و«مثرا» الإله الفارسي مولود في مغارة .

وتاريخ مولد المسيح واشباهه او نظائره في الوثنيات واحد ، فالمسيح — كما تذكر المصادر المسيحية — ولد في ٢٥ ديسمبر ، وكل من « باخـــوس » إله الخمر عند الاغريق ، و « مثرا » الإله الفارسي ، و « حورس » إله المصريين ، و « تموز » إله البابليين مولود في التاريخ الذي ولد فيه المسيح وهو ٢٥ ديسمبر ، الا ان هؤلاء كانوا اسبق من المسيح مولداً .

وكل جزئية او كلية في الديانة المسيحية مأخوذة من الديانات الوثنية القديمة ، وانقلبت المسيحية من دين توحيد

الى دين وثني محض ، وغرق العالم المسيحي في المنكرات كغيره في ذلك الزمن حتى تربعت على كرسي الحكم في القسطنطينية « عاهرة » صارت زوجاً للامبراطور جوستنيان واضع مدونة الفقه الروماني ، والحاكم المسيحي الاعظم في عصره ، وتوفي جوستنيان قبل هجـرة الرسول صلى الله عليه وسلم بنحو سبع وخمسين سنة .

وإذا كانت الديانتان الصحيحتان (اليهودية والمسيحية) قد انتهتا إلى الوثنية والشرك فإن اجزاء العالم الاخرى التي سادته الوثنيات لم تكن خيراً من البلدان التي تسيطر عليهما اليهودية والمسيحية .

هكذا كان العالم في العصر الذي ولـد فيه محمـد صلى الله عليه وسلم وبعث برسالته ، لقد كان هذا العالم غريقاً في الكفر والوثنيات والظلم والباطل والفساد ، وشغلت فراغ النفوس وثنيات باطلة ، وساد المجتمعات شرائع ظالمـة فاسدة ، وتبع ذلك تدهـور الحياة السياسية والاخلاقية والاجتماعية عامة ، وفسدت المجتمعات فساداً شديداً .

فالصين واليابان والتبت وكوريا وكـل بلدان الشرق الاقصى وثنية، وشاع فيها الفساد والجور والكفر والإباحية.

والهند غرقت في الوثنية والفجـور ، حتى ان شيوعيـة المرأة كانت ديانة مقدسة كما تفصح عنها « شكتكماك » ومن حق كاهنه التمتع بنساء غيره ، وكانت العروس تقضي أسبوعها الاول في احضان هؤلاء الكهان ومضاجعهم

يستمتعون بها قبل زوجها ، معتقدة هي وزوجها واهلها ومجتمعها أن رضا ربهم يسع العروسين ، والبركة تحل عليهما وعلى حياتهما الزوجية .

وهذا العهر مقدس عندهم ومرغوب فيه ، بل يبلغ العهر حده الافحش ليلة الاحتفال بعيد الهندوس المقدس المسمى « شفرارتي » حيث تستحيل الإنسانية بل البشرية بهيمية عارمة غاية في القذر والبشاعة ، ويُرتكب أفحش ما في البهيمية حيث يكون الزنا بالمحارم ضرباً من الدين والقداسة .

وفي فارس شاعت عبادة الفجور، عبادة عضو المرأة التناسلي، وداعيها الاول يسمى « أرتكزرسيس » واستفحل شرها الحيواني في عهد « مزدك » الذي كان يدين بمبدأ شيوعية النساء فيما يدين به من مبادىء التخريب ، ووصل العهر المقدس إلى تقديس مناظر الفحش وأعمال الفجور المقرونة بالسكر والعربدة، وكلما زاد الفحش بشاعة زادت القداسة.

والاشوريون والبابليون والسومريون متفقون في عبادة « إشتار » ربة الحب والحرب والعهر ، ويصفها البابليون في صلواتهم وأدعيتهم بأنها الربة الرحيمة القوية التي اشرق بنورها العالم ، ورفعتها قدرتها فوق مقام الآلهة طرا .

وإن « إشتار » هذه هي الربة الفاجرة التي أمتعت بفجورها وعهرها وفسقها ودنسها عُبّادها في الشرق الاوسط، واحتفظت بصفات الربوبية لانها لم تتدنس بنجاسة الطهر،

وكان من اقدس القرابين لديها تمزيق العفة والدعارة المقدسة .

ويصف « هيرودوت » المؤرخ اليوناني المشهور هذه الدعارة المقدسة فيما كتب بعد ان شاهدها بعينيه قائلاً : إن على كل امرأة بابلية أن تذهب الى هيكل ميلتا التي هي صورة « إشتار » وتزني ، ولا يعفى من ذلك أي امرأة لانه شعيرة دينية مقدسة ترضي ربة العهر والحب ، ويجب على المرأة التي تمضي الى الهيكل ألا تردّ يد أي راغب فيها مهما كان شأنه من الضعة والحقارة والهوان ، وما يعطيها من ثمن الفحش بها ولو كان « قرشاً » يكون مقدساً تحتفظ به المرأة .

وكانت سيدات المجتمع الراقيات يمضين الى المعبد في موكب حافل لاداء تلك الشعيرة الدينية المقدسة .

ومن الطقوس الدينية السومرية أن المعابد كانت مزدحمة بالجميلات خادمات الآلهة وممثليها من الكهنة الذين كانوا يفسقون بهن ، ويمزقون عفافهن ويستمتعون بأجسادهن باسم الآلهة .

وما كان السومري يشعر بالخزي من تقديم ابنته او اخته للمعبد هدية للآلهة ، بل يزهي ويحتفل بهذا التقديم، لانه يدخل البهجة والسرور الى قلوب الآلهة بإدخالهما في نفوس ممثليها ، إذ يتيح لهم ان « يشرفوه » بالاضطجاع مع ابنته أو أخته ، ويقبولها بين خادمات المعبد الجميلات

الموقوفات للعهر المقدس .

والسوريون كانوا يحتفلون بعشتروت (إشتار) كل سنة ، وعيدها اكبر الاعياد ، وتقترن به الدعارة المقدسة التي تباح فيها الاعراض وتنتهك الحرمات ، حيث تضحي فيها العذراء ببكارتها ، والمرأة بعفتها قرباناً مقبولاً لدى عشتروت ، ومشاركة لها في تهتكها ، وليس ذلك مقصوراً على سوريا الفينيقية بل هي شائعة لدى عباد « البعول » الفينيقية ، فتقام المهرجانات الخليعة الماجنة في كل مكان، ولا تكمل عظمتها إلا عندما يبلغ الهياج الجنسي اشده .

وإذا كانت « إشتار » تتقبل بابتهاج تضحية العذارى والنساء عامة بالعفة في معبدها ببابل فإن « عشتروت » كانت تتقبل في مدينة « بيبلوس » الفينيقية هذا القربان المقدس .

ولم تكن الآلهة الاخرى في غنى عن الدماء سواء اكانت دماء العذارى أم دماء الضحايا البشرية ، بل كانت تصبو على صور مختلفة ، منها ان عبادها كانوا يذبحون أطفالهم او يحرقونهم قرباناً لها ، كانوا يلقونهم في النار الهادئة وهم احياء ، فإذا اشتد صراخهم من حرارة النار رقصوا وزادت بهجتهم واعتقدوا أن الاله تقبل قربانهم .

والاغريق والرومان غرقوا في الفسق والفجور والكفر والوثنية مثل آلهتهم ، فزيوس (جوبتير) اكبر آلهتهم كان يعشق الزنا عشقاً ، وجاء بابنه «ابولون» من الزنا .

ومصر وبلدان افريقية واوربا كانت حـالها مثل سائر البلدان الاخـرى في الوثنية والفسق والفجور ، وفسدت « القيم » الانسانية في العالم كله .

والفضائل او الرذائل انعكاس صفات الالـه او الآلهة، فما دامت الآلهة فاجرة فاسقة تتعطش إلى الدمـاء وتبتهج بالمنكرات والموبقات ، فإن مـن البديهي ان يعتقد الناس ان الفسق والفجور والعهر والعربدة والسكر والنهب والسلب والفساد فضائل مطلوبة ، وشرائع محبوبة، وديانات مقدسة.

هكذا كان العالم كله دون استثناء ، ولم تكن حـال الجزيرة العربية بخير منها كثيراً ، وإن كـانت الصفات العربية مـا تزال فيها خلائق كريمة ، فقد كانت الجزيرة كما وصف اهلها جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله للنجاشي ملك الحبشة : « كنا اهـل جاهلية نعبد الاصنام ، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الارحام، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف » .

وضاعت صحف إبراهيم ، وحرفت التوراة ، وفقـد الإنجيل ، وما نقله مؤلفو الاناجيل من كلام عيسي محرف، وهذه الاناجيل زاخرة بما ينقض رسالة المسيح ويهدم دينه، وكل كتب العهد القديم والجديد مشحونة بالكفر والشرك والباطل والبهتان ، وباتهـام الرسل والانبياء بما يقوّض عصمتهم ونزاهتهم ، حتى ان الله عز وجل نفسه بعظمته وجلالة قدره وكماله المطلق لم يسلم من الاباطيل .

وتواريخ الرسل وسيرهم صارت مجهولة ، واشبه بالخرافات والأساطير ، مما حمل علماء باحثين من اليهود والنصارى وممن يدعون الإسلام وهم غير مسلمين حقيقة على انكار وجودهم وشخصياتهم ، وانكار الكتب التي أنزلت عليهم مما يعرف بأسفار العهدين .

وإذا كانت هذه حال العالم ، وكان غريقاً في الباطل والكفر والظلم والبغي والفساد والوثنية، وضاعت منه الكتب المنزلة بنصوصها الصحيحة ، وخفيت معالم سير الرسل وتواريخهم في الأباطيل والاوهام والاساطير ، وزاد الفساد وأربى في الفترة التي كانت بين المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ولم يظهر خلالها رسول حتى صارت المسيحية وثنية ، وزالت الشرائع السماوية وحل محلها سلطان الهوى فإن ضرورة الوجود الإنساني تقضي بظهور رسالة جديدة تنقذ العالم مما فيه .

ومما لا شك فيه أن كلام الله عز وجل ، وسير الرسل وتواريخهم واقوالهم وافعالهم تعين الإنسان على الحياة الفاضلة، ولم يكن شيء من ذلك في العصر الذي ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم .

ولما كان الأمر كذلك وكان الفساد عاماً وليس وقفاً على قطر او شعب كانت الحاجة ملحة وشديدة الى رسالة عامة لا تكون وقفاً على قطر أو شعب ، وخاصة بزمن بعد أن تهيأ العقل الانساني لفهم رسالته الإنسانية مع ما

ساد العالم من الفساد .

هذه الحال تقتضي رسالة إنسانية عالمية لأن الفساد وسع العالم كله ، كل أمم الأرض في حاجة إلى دين جديد حق ينقذها مما هي فيه ، وينقذ مجتمعاتها من المحق والانهيار ، وليس معقولاً أن يرسل الله عشرات الرسل او مئاتهم في وقت واحد إلى مئات الأمم والشعوب والقبائل حتى لاتتناقض شرائعهم باختلاف الأجناس والبيئات ، ولأن القصد إنقاذ الإنسانية بدين واحد تستظل به يجمع مزايا الأديان الصحيحة السابقة ويزيد عليها ، وتهتدي برسول واحد يلتقي في شخصيته أكرم ما في شخصيات الرسل بحيث يفضلهم جميعاً ، ويكون خاتمهم طراً ، ويرجح عليهم بمزايا لم تكن لأحد منهم ، ويكون من العظمة بحيث يسع الإنسانية منذ كانت حتى تنتهي ، يسعها بضخامتها واتساعها وعِظَمها وتجددها وامتدادها طولاً وعرضاً .

لا بد للإنسانية كلها من رسول واحد يقودها الى الخير ، ولا بد أن يجتمع في الرسول الجديد من الصفات والمزايا ما لا يوجد في إنسان يعيش على وجه الأرض في ذلك الزمان وفي كل زمان ، ليكمل بالرسالة فيكون أفضل الخلق جميعاً وأكرمهم على الله .

حاجة الانسانية الى رسالة عامة

مادام العالم كله قد فسد ، وما دامت الإنسانية كلها ضلت طريق الحق ، ولم ينج قطر ولا شعب ، بل تساوت الاقطار والشعوب كلها في الخسران المبين فإن رحمة الله وعدله اقتضيا رسالة عامة شاملة ، رسالة إنسانية عالمية يُنْعِم بها على كل بني الإنسان ليكونوا سواء في عطاء الله يأخذ منه من يأخذ ، ويدع منه من يدع ، فهو على نفسه بصيرة ، ولكل انسان ضميره وعقله وارادته في الاختيار ، وحريته في العمل ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فعليها .

وكان الرسول الجديد هو محمد بن عبدالله الذي كان لاختياره للرسالة العظمى ما يؤيده من واقع الحياة في عصره ، فقد كان الوحيد الذي هو بحق أعلى مثال في

الخلائق الإنسانية ، ولم يكن في الارض من يدانيه في بعض صفاته الكريمة ، ففي حياته التي قضاها في الجاهلية وهي أربعون سنة لم يَعْوجّ به طبع او تنحرفْ به عقيدة ، او يسؤ منه خلق او قول او فعل ، او تمتد عينه الى غير الفضيلة ، ويده الى غير الإنسانية ، ولم يتجه بفطرته الى غير الله .

كمل خَلْقا وخُلقا ، وولد ونشأ على عين الله التي رعته حتى بلغ سن النبوة نظيفاً كل النظافة في مظهره ومخبره ، لم تعلق بثوبه الناصع جرثومة من جراثيم الجاهلية ، مؤهلاً من قبل الله لقيادة الإنسانية وخلاصها .

ولا شك ان تواريخ العظماء في عصر محمد لم تكن مجهولة ، وما تزال معلومة حتى اليوم ، وليس بينهم من يشبهه من بعيد او قريب في صفاته الانسانية الكريمة وكمالها .

والله الذي قدّر ان يجعل من يتيم مكة حرسها الله رسول الإنسانية حفظه ونشأه حتى يكون أفضل الخلق ، واهلاً للاضطلاع بما اعدّ له من عبء اعظم رسالة يتلقاها من السماء بنو الإنسان .

وكانت هذه الرسالة « الإسلام » الذي هو في حقيقته دين الرسل جميعاً من ناحية العقيدة ، لا إلٓه إلا الله وحده لا شريك له ، ويزيد الإسلام انه جاء بصفات الله المثلى واسمائه الحسنى لتعرف ذاته بقدر ما تتسع له عقول البشر

للفهم والإدراك .

وجاء الدين الجديد بشريعة واحدة شرعها الله لعباده دون استثناء فرد او جماعة ، ولهذا دعا محمد عليه صلوات الله وسلامه البشر عامة .

دعا اليهود والنصارى والمشركين والكفار والوثنيين والمجوس وكل ذوي الملل والنحل والاجناس واللغات والاوطان المختلفة ، ودخل في دينه الحق القيِّم من كل دين وجنس ولغة ووطن .

ودعا الملوك والرؤساء والحكام إلى الإسلام ، ووجه رسالات ورسلاً إلى اعظم ملوك الارض : كسرى وقيصر.

فرسالة محمد ليست رسالة خاصة بشعب وقطر وزمن، بل هي رسالة إنسانية عامة ، رسالة العالم اجمع ، ولهذا كانت خاتمة الرسالات جميعها ، لانها وسعت اصولها من جهة العقيدة الصحيحة، وزادت في ايضاح الوحدانية المنزهة وصفات الواحد الاحد الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ولا شريك له .

واما شريعته فمثل رسالة الانسانية العامة العالمية ، شريعة عامة إنسانية ، ولما كانت الإنسانية والعموم خارجين عن نطاق حدود المكان والزمان كانت شريعة الاسلام شريعة كل زمان ومكان .

وكان الإسلام خاتم الاديان لان محمداً عليه الصلاة

والسلام خاتم الرسل ، لا رسالة بعد رسالته ، ولا دين غير دينه ، وصدق قوله : « لا نبي بعدي » فلم يخرج بعده رسول ، ولم يظهر بعد دينه دين ، ولان الإسلام كامل ، والكامل – بالضرورة – يقضي على الاستدراك، فهو خاتم الاديان بكماله .

كمال الاسلام بختم الاديان

ما يكون الإسلام خاتم الاديان إلا ببرهان ، فهو دين كامل تام الكمال ، منزه عن النقائص ، ومع ان البشرية تتقدم حتى بلغت في عصرنا هذا قمة تقدمها ، وطفرت طفراً نحو الرقي العقلي والحسي والحضاري لم يبق مجال لإضافة أصل جديد إلى أصول الإسلام عقيدة وشريعة .

لا جديد يمكن ان يضاف إلى الإسلام في مجال الشريعة والعقيدة ، وفي الفضائل والمكرمات كلها ، أصل كل ما يراد العمل به لخير الإنسانية في ميداني الممكن والواجب موجود في هذا الدين القائم على قواعد ثلاث :

الأولى : الإيمان بالله .

والثانيه : الأمر بالمعروف .

والثالثة : النهي عن المنكر .

والحياة الفاضلة قائمة على هذه القواعد الراسخة (كنتم خير أمـة أخرجت للنـاس تأمرون بالعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وكل قاعدة من هذه القواعد تنهض عليها « عمارة » الإنسانية وطمانينتها وسلامها وهناءتها .

وكلما تقدم الزمن والإنسانية ازداد صلاح الإسلام لهما، وهاهي ذي الشيوعية تفخر على الرأسمالية بأنها قضت على الربا والتعامل به ، واجتذبت ملايين اعتنقوها وفرضوهـا على مئات الملايين بالحديد والنـــار ، وفيهم من يدعون انهم مسلمون وهم في حقيقتهم ليسوا مسلمين .

حقاً ، إن الشيوعية قضت على الربـا ، بل يجب ان يزول الربا في المجتمع الشيوعي لأنه لا وجود فيه للتعامل والتجارة بين الأفراد ، وزواله أشبه بزوال الربا في عـالم الحيوان .

إن الحيوانات لا تتعامل بالربا، ولا وجود له في عالمها لا لمزية من المزايا ، بل لفقد الأسباب والدواعي، وكذلك فقدان الربا في المجتمع الشيوعي .

إن الشيوعية قضت على ما ينبثق عنه الربا في المجتمع فزال من مجتمعها،ولكي يظهر أن زواله ليس مزية من مزايا الشيوعية ؛ وأن هذا الزوال نفسه ليس إنسانياً. ليبح للافراد الامتلاك والمتاجرة ، وإقـامة الشركات ، وفتح المصارف والبنوك ثم لننظر ما يكون .

إن الربا سيظهر حتماً ويشيع اكثر من ظهوره وشيوعه

في الدول الرأسمالية ، وقد حدثت حوادث ذكرتها صحف موسكو عن وجود الربا في حالات فردية .

أما في الإسلام فالربا مقضى عليه فيه ، وزواله من مجتمعه الفاضل عمل إنساني مع وجود البواعث والأسباب، الملكية لا حدّ لها ما دامت من حلال لاشبهة فيه، والتجارة حرة ، والاقتصاد حر ، والدين والقرض موجودان، وكل ما يدعو إلى الربا في المجتمع الرأسمالي موجود في المجتمع الإسلامي دون ان يكون له أثر في التعامل به في شرعة الإسلام .

وتفخر الرأسمالية الغربية بأنها تجعل الديمقراطية ديناً او ما يشبه الدين ، وهي ديمقراطية تتبطن مساوىء ونقائص وعيوباً في السياسة والحكم وفي كل ما يحتاج اليه مجتمع حديث ، وهي وليد تنتسب لعديد من الآباء ، لرأس المال ، وللقوة ، وللصناعة ، ولظروف العالم ، وظروف البلد الذي تكون فيه .

والصوت صوت الأغلبية أو الأكثرية ، ولو كان الحق مع الأقلية ، والديمقراطية في كل بلاد العالم لا تقيد الحاكم بقيود أخلاقية ، وليس للأخلاق سلطان عليها او فيها إلا بقدر ما تدعو اليه الضرورات .

أليس الفسق مباحاً ؟ أليس حلالاً برغم الاعتقاد بأنه منكر ومقيت ؟ أليس من حق الحاكم ان يتمتع بما يحسبه حرية في السفالات ؟ بلى .

إن المزايا التي يدعيها أهل كل مذهب لمذهبهم موجود في الاسلام على أساس الحق مع الفـارق الكبير بينه وبين غيره في كل شيء .

إن المزايا في الإسلام إنسانية ، وفي غيره إذا وجدت ضرورات أو منافع إثمها أكـــبر من النفع ، أو نقائص مغلفة ، أو أسماء لغير مسمياتها ، فالزنا مباح باسم الحرية الشخصية ، والربا حلال باسم تبادل المنفعة، وهدم العقائد الدينية جائز باسم البحث العلمي .

والحرية في ظل الديمقراطية الغربية مزيـــة من اكبر مزاياها ، ولكنها ليست مزية انسانية اخلاقية ، لأنها نقيض الأخلاق والإنسانية ، فمن الحرية التي تضمنها الديمقراطية وتحميها قوانينها أن يباح للمرأة الاثم ما دام الرضا سيد الاحكام ، وايجابها وقبولها حق خاص تملكه هي وحدهـــا لا ينازعها فيه منازع .

هي حرة أن تمنع نفسها عمن تشاء ، وحرة ان تمنح ما تشاء لمن تشاء ، دون لوم أو تأنيب حتى من الضمير ، أو عقاب من الحكومة التي ضمنت لها هذه الحرية وشجعتها على الاثم بما هيأت له من الدواعي والاسباب .

أما الاسلام فلا يجتمع في حكمه الحلال والحرام او البر والاثم في شيء واحد، الحرام حرام دائماً ولايمكن ان يكون حلالاً ، فالزنا حرام ، ولا تبيحه ضرورة مهما كـانت شديدة قاسية، والحلال حلال دائماً ، فالحرية حق الانسان

الطبيعي سواء الذكر والانثى ، ولكن الاثم ليس حقاً ولن يكون حقاً في شرعة الحق يوماً من الايام ، فهو حرام دائماً ، ولا دخل للرضا فيه حتى يستحيل حلالاً أو مباحاً أو جائزاً .

ولا يمكن في شرعة الاسلام ان يحل ما حرمه ، حرم الاثم فهو حرام في كل حال وزمن ، ولا يتيحه ضرورة ولو كانت الموت ، فلو ان عاشقين تلفا من العشق واشرفا على الموت الذي يتلافاه اتصالها المحرم لما اجازه الاسلام، ولو كان في الاثم نجاة روحين .

ما دام الاثم اثماً حقاً ، وعده الاسلام كذلك فهو محرم ، ولا يمكن ان يحله او يبيحه او يجيزه او يتغاضى عنه .

والربا حلال في المجتمع الرأسمالي ، بل هو اساس من اسس التعامل فيه ، وتقوم عليه حضارة الغرب وتقدمه العلمي ، ولكن الاسلام يحرمه تحريماً شديداً ، وينذر متعاطيه بحرب من الله؛ لان الاسلام يريد « المثالية » في المجتمع ، ويبني علاقات افراده على الانسانية .

وما من مدين او مقترض في العالم تسأله : ايهما خير ؟ أقرض بفائدة ام قرض حسن بدونها ؟ ألا يجيبك : القرض الحسن .

ولا بد من اتساع المجتمع للمثاليات وإلا صار مجتمعاً

حيوانياً ، تتحكم به الضرورة على الكمال ، وتملي الحاجة على اصحابها شروط المذلة والهوان .

والمجتمع الانساني لا يخلو من المثاليات مهما سفل ، لان المجتمع الحيواني نفسه لا يخلو منه حتى اخذ بنو الانسان يضربون المثل في الوفاء بالكلب والحصان .

وليس صلاح الاسلام الذي جاء إلى الأرض منذ أربعة عشر قرناً لكل مجتمع وفي كل عصر جموداً كما يزعم بعض خصومه حتى من الذين يحملون أسماء إسلامية من كفرة الحكام وفسقة الكتاب والمفكرين ، هم ليسوا خصوماً إلا للاسلام ، والا فلماذا لا يتهم أحد المجتمع الانكليزي بالجمود لأنه يقيد نفسه بدستور لم يتغير منذ مئات السنين .

والدستور الاسلامي صالح كل الصلاح لهذا العصر ولكل عصر مهما يبلغ تقدمه المادي والروحي ، وأسس هذا الدستور الأعظم هي :

- الايمان بوجود الله ووحدانيته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .
- التحرر من عبادة الأشخاص والكائنات جميعاً .
- الحرية حق طبيعي للإنسان، وكذلك العلم والصحة والعمل والعيش .
- البيعة ضرورة لتكون ولاية الحاكم شرعية صحيحة

بدون إكراه .

- أداء الفرائض الدينية .
- وجوب كون الحاكم مثلاً عالياً في الصلاح وسمو الملكات وحسن الأخلاق .
- طاعة ولي الامر فرض، ونازعها خارج على الامة .
- عزل الحاكم المجاهر بمعصية لا يقلع عنها مستكبراً على نصح الناصحين ، فإذا أحل حراماً صحب العزل تويبه ، فإذا أصر على إحلال الحرام يقتل .
- لجميع المواطنين الحق في العمل والراحة والامن والضمان الاجتماعي .
- إعلان الحرب المقدسة وإقرار الصلح والسلم من حق الامة .
- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
- الحاكم مقيد في حكمه وسلوكه ومعاملته الناس بأقسى القيود .
- العدل أساس الحكم ، والاحسان قاعدة العقيدة .
- الدولة مسئولة عن كفالة الافراد والجماعات وضمان حرياتهم ومعايشهم .
- إن الله حرم الظلم على نفسه فهو حرام على الناس فيما بينهم .

- مال الانسان او عرضه أو دمه حرام ومحمي ومضمون ، ولمنزله حرمة ، ولما يملك عصمة .
- كل نشاط في سبيل الحق والعدل والخير مطلق .
- وجوب وجود أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات .
- المرجع في الاحكام كتاب الله وسنة رسوله والاجماع والقياس الصحيح .
- تنفيذ الاحكام فرض يقوم به الحاكم وعماله ، وإقامة الحدود فرض ، ولا يمكن تعطيلها بحال من الاحوال ، وإذا دعا سبب لوقف التنفيذ في الحدود كضرورة وجود المسلمين في ميدان الحرب او في أرض العدو، أو لشبهة من الشبهات فذلك ليس تعطيلاً .
- الحاكم مسئول ، والمحكوم مسئول ، والرجل مسئول ، والمرأة مسئولة .
- تحريم الاحتكار وجعل الثروة دولة بين الاغنياء، وتحريم الربح بغير شروط العدل التي تحفظ للحلال قدسيته ، فلا غرر ولا غش ولا خداع ولا تدليس ولا رشوة ولا ربا .

- للمجتمع حق في مال الغنى وقدرة القادر .
- الميراث حق لا يحرم منه صاحب حق .
- المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات والحدود .
- من حق أولي الامر فرض « الضرائب » لمصلحة الامة ، ويحرم فرضها للمصلحة الشخصية .
- إن الله يأمر بالعدل ، فكل مـــا كان عدلاً في ظـــاهره وباطنه وفي عواقبه ونتـــائجه فهو من الاسلام لان الله يأمر به ، والعدل اسم لكل ما فيه الخير والصلاح .
- مقاصد الشريعـة الاسلامية تبيح كل مـــا لم ينص عليه ما دام عدلاً ومتفقاً مع هذه المقاصد .
- الثواب والعقاب حق وواجب .

هـــذا ملخص دستور الاسلام مصدره القرآن والسنـة الغراء ، وليس بدعاً بين الدساتير التي يراد منهـــا حماية المجتمع وحراسته وتهذيبه .

ومـــا يستطيع أحـد ان يشك في صلاح الدستور لكل مجتمع إنساني في كل عصر ، ونحن نجـد أشد الحكومات كفراً وإلحاداً وظلماً وعسفاً تضع دستورها عـلى مثل هذه الاسس دون تطبيق كالدول الشيوعية .

ففي روسيا الشيوعية ينص دستورها المدون عـلى ضمان حرية العبادة وحريـة الفكر والقول والعمل والتنقل وحرية

الصحافة ، ولا شيء من ذلك في مجال التطبيق والتنفيذ .

قالت جريدة « البرافدا » في عددها الصادر في مستهل شهر ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٦٢ م في وصف الدستور السوفييتي ما نصه :

« إن دستور اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية يكفل لجميع المواطنين حقوقاً جليلة في العمل والراحة والتربية وضمان الشيخوخة ، وإن دستورنا — وهو احد مفاخرنا الاشتراكية — ليضمن عن طريق القانون مساواة الحقوق بين الأمم والعناصر المختلفة ، كما انه يوثق روابط الصداقة المتينة ما بين الشعوب الحرة ، وإن دستور الاشتراكية الظافرة اكثر الدساتير ديمقراطية في العالم، لأن حرية الكلام والصحافة والحرية الفردية وجماعات العمال والفلاحين والمثقفين، وكل هذه الحريات قد ضُمنت بمعانيها الواسعة في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية » .

وتقول المادة ١٢٤ من الدستور السوفييتي الاشتراكي :

« لكيما تكفل للمواطنين حرية المعتقد تُفصَل الكنيسة[1] في الاتحاد السوفييتي عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، وتعترف لجميع المواطنين بحرية ممارسة الشعائر الدينية وبحرية

---

١ – المقصود بالكنيسة هنا الدين (راجع كتاب « الدستور السوفييتي » للدكتور فؤاد محمد شبل الطبعة الاولى سنة ١٩٤٨ م ، مطبعة الحلبي بمصر .

الدعوة اللادينية » .

وتقول المادة ١٢٥ مانصه :

« وفقاً لمصالح الطبقة العاملة وتوطيداً لدعائم النظام السوفييتي يضمن القانون لمواطني الاتحاد السوفييتي :

ا – حرية الكلام .

ب– حرية الاجتماع وتشمل الاجتماعات العامة .

د – حرية تأليف المواكب والمظاهرات في الشوارع، ويكفل حقوق المواطنين هذه: وضع المخزون من الورق ، والأبنية العامة اللازمة لممارسة هذه الحقوق تحت تصرف الطبقة العاملة ومنظماتها » .

وكل هذا كلام جميل ، ولكن العالم كله يعرف ان شيئاً من هذا لم يقع في ظل الاشتراكية السوفيتية حتى اليوم منذ ان قامت حكومتها سنة ١٩١٧ م إنه دستور غير قابل للتطبيق في الحكم الشيوعي، ولكنه قصد منه خداع الناس وتضليلهم خارج حاجزه الحديدي .

ونعود إلى الدستور الاسلامي لنقرر أنه لا يمكن ان يضاف الى نصوصه التي جاءت في القرآن الكريم والسنة الغراء أي مادة من المواد التي يحتاج اليها المجتمع الشريف الفاضل .

وهذا ينتهي بنا إلى ان نقرر انه لا يمكن ان يضاف إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام أي شيء سواء في

مجال العقيدة أم في مجال الشريعة لكمالها التام .

ومن هنا يثبت لنا ان رسالة محمد خاتمة الرسالات ، وأن محمد نفسه خاتم الانبياء والمرسلين ، وايد الواقع نبوءته التي كانت حقاً وصدقاً ، فلم يبعث رسول بعده ، ولان بعث أي رسول بعده بدين آخر هو تكرار او اتهام له بالنقص .

وما دام الاسلام ديناً كاملاً عقيدة وشريعة ، فالكمال يقتضي ان يكون الختام لا يعقبه ما هو خير منه لانه لا وجود لما هو خير من الكامل ، ولا مثله لانه تكرار لا حاجة اليه ، ولا أقل منه لانه عبث .

وما دام الاسلام كاملاً لا يمكن الاستدراك عليه او إضافة جديد إلى اصوله فلا ضرورة على أي حال لدين آخر ، وبرهان ذلك انه لم يكن ثم استدراك او إضافة إلى اصول الاسلام .

أما الفروع فلا حجر فيها على الوضع والاضافة من قبل « أهل الذكر » الموصوفين بالنزاهة والعدالة والعلم والاجتهاد وسمو الخلق ، والذين هم الصفوة الصالحة في الامة .

وترك الاسلام باب الاجتهاد مفتوحاً وابواب الفروع مفتوحة لانه مدرك انه لا تثريب ولا ضير على الاصول ان تنبت عليه فروع جديدة،ولانه مدرك ان التطور البشري

والتقدم الانساني يوجدان ظروفاً واحوالاً جديدة تقتضي نبات فروع على تلك الاصول .

وثبات الاصول لن يكون جموداً إلا عند جهول او حقود يرسل باطله ، ولماذا يكون ثبات اصول الاسلام وحده معيباً ومؤاخذاً ؟.

إذا رجعنا إلى أعرق الامم الديمراطية في هذا العصر وهي بريطانيا وجدنا في دستورها الثابت ما هو موجود في دستور الاسلام الذي سبقه ، مثل حرمة المنزل وعصمة الملكية وحريه الفرد والجماعة في العبادة والتجارة والعمل والانتقال، ومثل اقامة القوانين وتنفيذها في جميع الاحوال والظروف وعلى جميع الافراد إلا في حالات خاصة .

هذه المبادىء موجودة في الاسلام قبل الدستور الانكليزي، فلماذا يتهم الاسلام وحده بالجمود من قبل بعض خصومه ولا يتهم الدستور الانكليزي مع ان قواعده ثابتة لا تتغير بتغير الطروف والاحوال ؟ .

والفارق بين الدستورين ان الاسلام لا يحابي السابقين اليه ، ولا الذين حملوه الى الاقطار الاخرى مجاهدين فيه حق الجهاد ، بل هؤلاء لا يمتازون على غيرهم وانما يتساوون جميعاً في الحقوق والواجبات ، ويكفي ان محمداً عليه الصلاة والسلام نفسه ساوى نفسه بأعرابي زاحم غيره وآذى بهذه المزاحمة سواه ، فضربه بعصا خفيفة تنبيهاً

وتأديباً ، فلما قال له الاعرابي : اتضربني يا رسول الله؟ دفع له العصا ليقتص منه ويضربه امام الجماهير ، مع ان من حقه وهو الرسول الحاكم رأس الدولة تأديب امثال هذا الاعرابي الذي لم يبالِ آداب السلوك واللياقة فآذى الناس بمزاحمته اياهم ! .

هذا رسول الاسلام ، فمن يعمل عمله في جميع الديمقراطيات ؟ .

اتعمل بريطانيا أعرق الامم الحرة الديمقراطية هذا العمل؟ لو اخذت بأي مبدإ من مبادىء الاسلام ما فعلت بالشعوب التي استعمرتها شر الأفاعيل ، ان دستور بريطانيا لا يطبق في مستعمراتها لانه موضوع لشعبها وحده ولا غير ، فهو دستور اناني غير صالح ، لانه دستور ظلمة ، يعدلون فيما بينهم ، العدل لهم وحدهم ، اما غيرهم فلا .

ولكن دستور الاسلام انساني كله ، الجميع فيه سواء، وحق الانسان مضمون ولو كان دينه غير الاسلام،والظلم حرام لذاته ، حرام ان يظلم المسلم اخاه المسلم ، وحرام ان يظلم احداً من بني الانسان من ابناء الاديان الاخرى ، والعدل ليس وقفاً على المسلم ، بل هو حق للإنسان دون نظر الى دينه الذي يعتنقه .

يقول رسول الاسلام طليه صلوات الله وسلامه :

« من أمَن رجلاً على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل

وان كان المقتول كافراً » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » .

هذه هي انسانية الاسلام التي يتبرأ بسببها رسول الاسلام من تابعه المسلم إذا خدع كافراً بأن اعطاه الأمان ثم قتله، ويا ويل من بريء منه محمد ! ويا ويل من كان خصمه يوم القيامة .

أفي كل دساتير العالم الحر المتمدن المتحضر وكل قوانينه مثل ما في الاسلام ؟ أفيها مثل هذه المبادىء ؟.

إن معتنقي الأديان من مسيحيين ويهود وبوذيين وكنفوشيين وصائبة ومجوس لا تجد بعضهم في جوار بعض المساواة والعدالة والحرية ، ولكنهم وجدوا في جوار الاسلام وحمايته وحكمه ما لم يجدوا في ظل دياناتهم من عدل واحسان وحرية وكرامة .

واليهود الذين اضطهدوا في اقطارهم لشرورهم وآثامهم وطبائعهم المنحرفة جزاء وفاقاً وجدوا أكرم جوار وأسمى حرية وهناءة في ظل الإسلام .

ولا ندعي نحن المسلمين هذا اختراعاً او تنفجاً ، بل يقوله آلاف من غير المسلمين من المفكرين الكبار يشهدون للإسلام بهذا العطاء الانساني الذي نفتقده في جميع المذاهب والاديان وابنائها .

هذا برتراندرسل فيلسوف بريطانيا واحد المشاهير في العالم يقول في كتابه (تاريخ الفلسفة الغربية ٢ : ١٨٦ الطبعة العربية) :

« كانت ديانة النبي (محمد) توحيداً بسيطاً ليس فيه التعقيد الذي نراه في عقيدة الثالوث والتجسيد ، ولم يزعم النبي لنفسه انه إلـهي ، ولا زعم له أتبـاعه هذه الطبيعة الالهية نيابة عنه ، وجعل واجبـاً على المسلمين ان يفتحوا من العالم ما وسعهم فتحه في سبيل الاسلام على ألا يسمح لهم خلال ذلك باضطهاد المسيحيين او اليهود » .

ويقول : « كان المسلمون خلال العصور الوسطى اكثر مدنية وأرق قلباً من المسيحيين ، فقد اضطهد المسيحيون اليهود ، وبخاصة في عهود الاضطراب الديني ، وصاحبت الحروب الصليبية مذابح مروعة، وذلك على نقيض ما كان في البلاد الاسلامية ، حيث لم يسيء احد معاملة اليهود بأي معنى من معاني الاساءة ».

فاذا وجد اليهود أعدى اعداء الاسلام والانسانية هذه المعاملة الكريمة الرائعة فذلك دليل انسانية الاسلام التي لا وجود لها او لما يشبهها في جميع المذاهب والاديـان ، وبرهان على انه دين الانسانية كلها .

ونخلص من كل ما سبق من القول الى ان محمداً خاتم الرسل حقاً ، ودينه الذي بعثه الله به لهداية البشرية كلها اذا اتبعته عن ايمان واخلاص خاتم الاديان ، لانه شمل

كل ما في اديان التوحيد السابقة من عقيدة ، ولانه وسع شريعة ثابتة سمحة لا تتغير اصولها تصلح لكل مجتمع ، وتستجيب لمطالبه الانسانية الخيرة في كل عصر ، لانه حوى الاصول بحيث لا يمكن لأحد ان يضيف اليها اصلاً جديداً .

فهرست